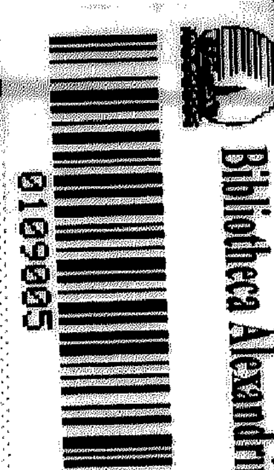
رسائل الإمام الحسن

رضى اللـــه عنه

زينب حسن عبد القادر





ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب

تصدر عن مؤسسة

دار الشعب

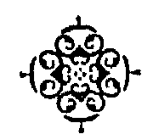
للصحافة والطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

أحمد شوقي القيعي

المدير العام

جمال الدين زكي



ستظل القاهرة .. دائما قلب العروبة والإسلام النابض .. تتبوأ مكانتها التاريخية والحضارية .. في عالم الفكر والثقافة والنشر !!



الإدارة : ٩٢ شارع قصر العيني - بالقاهرة
ت ٣٥٥١٨١٠ / ٣٥٥١٨١٨ / ٣٥٤٣٨٠٠ / ٣٥٥٧٧٣٠
تلكس دولي : ٢٠٥٧٤
ص . ب ١٤ رقم بريدي ١١٥١٦



زينب حسن عبد القادر

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

مطبوعات الشعب
ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب

سلسلة
ثقافية
ادبية
اعلامية
تصدرها :
مؤسسة
« دار الشعب »
للصحافة
والطباعة
والنشر

رئيس قطاع النشر
سعاد قنديل

□ الغلاف للفنان :
نبيل محمد فرغلى

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

اليها .... أم الحســـنين العظيمين عليهما الســلام

اليها .... التى منحها الله فضل حفظ سلالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

الـــى .... أم ابيها السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها

أهـــدى كتابى ...

زينب

مقدمة

رأيت من واجبى كأم مصرية أن أسهم بقدر متواضع فى مساعدة أبنائنا وبناتنا لمعرفة طريقهم السليم وسط هذا العالم المشحون بالماديات دون الروحانيات وحتى طغت النظرة المادية على ما عداها فى كل أمور الحياة بما فى ذلك العلاقات الأسرية فصارت تتحكم فى العلاقات العائلية .

وقد تضاربت الرؤى أمامى وأنا أشهد هذا الانحسار للقيم والماديات من خلال معايشتى لمشاكل المجتمع وأتعذب للتمزق الذى يتعرض له مجتمعنا المسلم ..

وعرضت الأمر على زوجى الأستاذ صلاح عزام الذى أجاب ببساطة ودون تفكير (الاسلام لم يترك شيئا من أمور الدين والدنيا.. اقرئى كثيرا وستعرفين أكثر ... ولم يزد ...

فرددت اجابته الى تعصبه الشديد للاسلام وعمق حبه لسيد الخلق اجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وناقشته فى الأمر وبأنى لا أريد الكتابة عن شخصية اسلامية ولكنى أريد التعرف على العلاقة بين الأب وابنه . العلاقة العائلية البسيطة .. العلاقة الانسانية التى نعيشها .

وكانت اجابته الثانية وبنفس البساطة والتأكيد (عندك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآل بيته وستجدين الرد على كل أسئلتك والجواب الشافى لكل ما يحيرك) ..

وتركنى أعيش أروع ساعات عمرى مع آل البيت الكرام عليهم السلام ولأقف طويلا مبهورة أمام أبوة الامام على مع ولديه سيدا شباب أهل الجنة ...

وعدت لمجتمعنا المصرى واعتماده فى حل مشاكله على نظريات أجنبية مستوردة وهى غريبة عنا ولا تصلح بالقطع لنا حينما نتعرض لحل مشاكلنا لأبناء مجتمعنا وامامنا فى الاسلام النموذج الحى المشرق والعملى أيضا والذى يعتبر أروع مثال يحتذى به ونحن نضع أيدينا على جراح مجتمعنا فنعيد اليه باسم الاسلام روح الحياة وبالتالى تعود قوة تصنع الحضارة وتضىء الدنيا بالخير والحب والحياة ...

وآثرت أن أخرج على الناس بجانب من العلاقة الأسرية التى رباها معلم البشرية وهاديها محمد صلى الله عليه وسلم وهو ما تعلق بالامام على وولده الأكبر الامام الحسن رضى الله عنهم أجمعين وقد اخترته لا عن مفاضلة بينه وبين سيدنا الحسين رضى الله عنه حاشا لله ولكن لعدة أمور دنيوية أردت ابرازها منها :

أولا : أنه الأكبر وكان المستشار الأول لوالده فأردت اظهار آداب حوار المناقشة الرائعة والرسائل

المتبادلة بين الأب والأبن فى أعظم صورة للأدب الرفيع والخلق العظيم .

ثانيا : أن الحسن رضى الله عنه كان داعية سلام دائم وعن قوة لا عن ضعف وانه كان يحافظ على دماء المسلمين من أن تنزف فى سبيل اغراض شخصية مهما بلغت قوتها وفى هذا يضرب مثالا رائعا للشباب فى أن القوة لا تكون دائما فى الحرب وانما قوة القوة فى السلام

وسبب ثالث هو أن أعرض للشباب من الجنسين نماذج من البلاغة الرفيعة المتمثلة فى خطبه ورسائله وبعض أقواله ليكون صورة مشرقة تدعونا أن نحذو حذوها ونقتفى آثرها فى العلم والدين فنعود مرة أخرى للكتابة والحديث بالعربية بدقة وسلاسة دون تحريف او ابتداع تصوره لنا أذهاننا أنه المدنية المتطورة وما هذا الذى نراه من التواء الألسنة فى نطق العربية السليمة الا رجعية ما بعدها رجعية فالعالم المتمدين الآن يدعو كل مواطنيه لتعلم اللغة العربية وعلى كافة المستويات والأعمار وأولى بنا أن نكون السباقين والسابقين فى هذا المجال لأنه منا ونحن منه ولأن ديننا وقرآننا باللغة العربية ..

وقد راعيت فى كتابى هذا أن يحتوى على أمثلة من :

- مواقف
- ورسائل
- وخطب
- وكلمات

تتضمن كل مجموعة من الامثلة بابا مستقلا ..

وبذلك نفتح الباب لكتاب التاريخ والاسلاميات ليقفوا طويلا أمام تاريخ الامام الحسن رضى الله عنه فيقدمون لنا خيرا كثيرا نحن فى أمس الحاجة اليه ..

وفقنا الله جميعا لما فيه الخير والسلام للمسلمين والبشرية جمعاء ..

زينب حسن عبد القادر

- ١ -

مواقف

قال الحسن لأبيه يوم رافقه فى موقعة الجمل ستقتل بمضيعة لا ناصر لك.. فأجاب على رضى الله عنه بشىء من الرفق والأناه .

انك لاتزال تحن على حنين الجارية ، وما الذى رأيته واستضويته ؟ فيندفع الحسن ليقول رأيه ويوضحه .

لقد رأيت لك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ، ثم رأيت لك يوم قتله أن لا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة أهل كل مصر فانهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت على ، ورأيت لك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان ان تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا فان كل الفساد كان على يد غيرك فلم تقتنع منى بذلك كله ، وتحمل الوالد كلام ابنه حتى انتهى فقال له :

اى بنى اما قولك لو خرجت من المدينة حين احيط بعثمان فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به واما قولك لا تبايع حتى يبايع أهل الأمصار فان الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر ولقد مات رسول الله وما أرى احدا أحق بهذا الأمر منى فبايع الناس أبا بكر فبايعته .. ثم توفى وما أرى احدا احق بهذا الأمر منى فبايع الناس عمر فبايعته .. ثم توفى وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر منى فجعلنى سهما من ستة أسهم فبايع الناس عثمان فبايعته ثم سار الناس الى عثمان فقتلوه . وبايعونى طائعين غير مكرهين واما قولك أن أجلس فى بيتى حين خرج طلحة والزبير فكيف لى بما قد لزمنى ؟ أو من تريدنى ؟ أتريدنى أن اكون كالضبع التى يحاط بها ويقال ليست هاهنا حتى تجل عرقوباها ؟ واذا لم انظر فيما يلزمنى من هذا الأمر ويعنينى فمن ينظر فيه ؟ فكف عنى يا بنى ..

وفى هذه الموقعة أيضا يدور الحديث الآتى بين سيدنا على وابنه الحسن :

فيقول الامام رضى الله عنه :

يا بنى ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاما فيرد الحسن قائلا :

يا أبت لقد كنت أكره هذا . .

ثم يجيلان النظر الى القتال أمامهما ويقلبان الطرف بين ما سبقه وما يلحقه فتنحدر من عينى سيدنا على دمعة ويحتضن ولده ويقول :

أى خير يرجى بعد هذا ؟؟

وموقف آخر بعد مقتل سيدنا عثمان وقد وقف سيدنا الحسن فى الناس فقال بعد الحمد والثناء .

أيها الناس اناجئنا ندعوكم إلى الله والى كتابه وسنة رسوله والى أفقه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون وافضل من تفضلون واوفى من تبايعون من لم يعبه القرآن ولم تجهله السنة ولم تفقد به السابقة، الى من قربه الله تعالى ورسوله قرابتين قرابة الدين وقرابة الرحم الى من سبق الناس الى كل مأثره الى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون فقرب منه وهم متباعدون وصلى معه وهم مشركون وقاتل معه وهم منهزمون وبارز معه وهم محجمون وصدقه وهم يكذبون الى من نرد له ولا تكافأ له سابقه، وهو يسألكم النصر ويدعوكم الى الحق ويأمركم بالمسير اليه لتؤازروه وتنصروه على قوم نكثوا راية بيعته وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ومثلوا بعماله وانتهبوا بيت ماليه فاشخصوا اليه رحمكم الله فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واحضروا بما يحضر به

الصالحون كل ذلك والله من من الله على على ثم والله ما دعا الى نفسه ولقد تداك النـاس عليه تداك الابل الهيم عنـد ورودها فبايعوه طائعين ونكث منهم ناكثون بلا حدث ولا خلاف اتاه حسدا له وبغيا عليه فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته والجد والصبر والاستعانة بالله والحفوف الى ما دعاكم اليه أمير المؤمنين عصمنا الله واياكم بما عصم أولياءه وأهـل طاعته وألهمنـا واياكم تقـواه واعاننا واياكم على جهاد أعدائه واستغفر الله لى ولكم .

ومضى سيدنا الحسن بعد ذلك الى الرحبة فهيأ منزلا لأبيه واستعد للقائه مستقبلا ومحييا حتى يأخذ مجاسـه فى أحسن موقـع .

ومناقشة أخرى يوم صفين يقول فيها سيدنا الحسن لأبيه : ما ضرك لو أسرعت حتى تنتهى الى الذين صـبروا لعـدوك من أصحابك ؟ فيجيبه سيدنا على برباطته المعهودة مقـرا له فكرة القدر المحتوم :

يا بنى ان لأبيك يوما لن يعدوه ولا يبطىء به عن السعى ولا يقر به الى الوقوف ، أن اباك لا يبالى ان وقع على الموت أو وقع الموت عليـه .

ويشترك الحسن والحسين رضى الله عنهما فى المعركة يبذلان نفسيهما عندما رأيا المكروه يحدق بأبيهما حتى يقول سيدنا على:

امكلوا عنى هـذين الغلامين فانى انفس بهما عن القتـل والله انى لسخى بنفسى عن الدنيا طيب النفس بالموت ولقد هممت بالاقدام على القوم فنظرت الى هذين قد ابتدرانى ونظـرت الى هذين قد استقدمانى (يعنى عبد الله بن جعفر ومحمد بن على)

فعلمت أن هذين ان هلكا انقطع نسل رسول الله من هـذه الأمة وكرهت ذا ، وأشفقت على هذين أن يهلكا .

ونقاش خالد بين الأب والابن أراد سيدنا على يوما أن يسمع ابنه وهو يخطب الناس فقال له : الا تخطب فأسمعك ؟ فيجاوبه سيدنا الحسن :

انى استحى ان أخطب وأنا اراك .

فقام على رضى الله عنه وجلس حيث لا يراه ابنه .

ونهض الشاب وألقى كلمة فصيحة قال فيها :

(ان الله اختارنا لنفسه وارتضانا لدينه واصطفانا على خلقه وأنزل علينا وحيه وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقنا شيئا الا انتقصه الله من حقه من عاجل دنياه وآخرته ولا يكون علينا دولة الا وكانت لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين) .

وعندما انتهى باركه والده وقال والغبطة تمسك عليه لسانه أ **(ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) ثم استدعاه وقال له :**

(يا بنى لا تستخفن بأحد تراه أبدا ، فان كان أكبر منك فعده أباك ، وأن كان مثالك فهو أخوك ، وان كان اصغر منك فاحسب انه ابنك) .

وهذا موقف آخر دارت فيه مناقشة بين الاب وابنه حول موضع دقيق وأمر رشيد من أمور المسلمين فى ذلك الوقت خاصة وعلى مر الازمان عامة .

حدث عندما كان الوليد واليا على الكوفة من قبل عثمان رضى الله عنه وكان الوليد معروفا بشرب الخمر فشرب فى ليلة صاخبة وخرج ليصلى بالناس الصبح فى المسجد الجامع فصلى بهم أربع ركعات مع أن صلاة الصبح ركعتان ثم التفت الى الجماعة وقال أأزيدكم ؟ واعترته دوخة فتقيأ فى المحراب بعد أن قرأ فى الصلاة :

علق القلب الربابا بعد ان شابت وشـابا ، وبلغ أهل الكوفة عثمان خبر هذا الوالى وشهدوا عليه وقيل فيه :

نادى وقـد تمت صـلاتهم ... أأزيدكم ثمـلا وما يـدرى
فأبوا أبا وهب ولـو فعـلوا ... وصـلت صـلاتهم الى العشر

واجتمع مجلس القوم وقلب سيدنا على طرفه فى الجلسـاء غاضبا لله وقال لابنه الحسن :

يا بنى قم فاجلده فسـاد القوم رهبة وخيمت هيبـة الحق ورفرف سلطان الله وفكر الحسن ونظر فيما أصاب الدعوة بعد جده عليه الصلاة والسلام ولكنـه بعد تفكير قال لأبيه : ما أنت وذاك ؟ هذا لغيرك (ول حارها من تولى قارها) وخاف سـيدنا على من تعطيل الحد لقرابة الوليد من الخليفة فقام اليه فجلده بيـده .

وموقف آخر فى الأيام الأخيرة لسـيدنا عثمان رضى الله عنه فقد وقف يخطب فى الناس بعد ان صلى بهم وقام على المنبر فقال : يا هؤلاء الله الله : فو الله ان أهل المدينة يعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وآله فامحوا الخطأ بالصواب .

فثار القوم وحصبوا الناس حتى أخـرجوهم من المسـجد وحصبوا عثمان حتى خر على المنبر مغشـيا عليه فأدخـل داره واستقتل نفر من أهل المدينة معه وفيهم الحسن بن على وسعد بن ابى وقاص وزيد بن ثابت وابو هريرة فأرسل اليهم عثمان .

عزمت عليكم ان تنصرفوا .. فانصرفـوا .. ودخـل على على عثمان ومعه قنبر خادمه فأومأ اليه بالتنحى فتنحى غير بعيد

فجعل عثمان يعاتب عليا وهو ساكت فقال : ما بالك لا تقول ؟

فقال على : ان قلت لم أقل الا ما تكره وليس لك عنـــدى الا ما تحب .

وانصرف ..

وكان أن حاصر عثمان الناس ومنعوه من الماء فأشرف عليهم وقال : أفيكم على ؟

قالوا : لا

قال : أفيكم سـعد ؟

قالوا : لا

ثم قال : ألا احدا يبلغ عليا فيسقينا ماء ؟

فبلغ ذلك عليا فبعث اليه بثلاث قرب مملوءة لم تصل اليه حتى خرج بسببها عدة من موالى بنى هاشم وبنى أمية وكتب بعد ذلك سيدنا عثمان لسيدنا على فقال :

اما بعد فانه قد بلغ السـيل الزبى وجاوز الحـزام الطبيين وتجاوز الأمر بى قدره وطمع فى من لا يدفع عن نفسه :

فان كنت ماكولا فكن خير آكل
والا فأدركنى ولما أمزق

ولم يشأ على أن يدعه وشـأنه فبعث ابنيه الحسن والحسين وبعض آهله ونفرا من مواليه زودهم بالقوة والسـلاح وأمرهم أن يلزموا باب الدار فلا يفارقونه وقال لولديه : اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل اليه .

فامتثلا وذهبا لساعتهما وكان الهاشميون بذلك أول من سل سيفا بوجه الثائرين حتى أن الصحابة أرسلوا أبناءهم .

ودخل الحسن على عثمان متأهبا بعدته وسيفه وقال :

ياأمير المؤمنين انى طوع أمرك فمرنى بما شئت فأجاب عثمان :

بل اجلس فى بيتك يا ابن أخى حتى يأتى الله بأمره ولكن الحسن نهض ومن ورائه أهل بيته مستمعا مطيعا لأوامر والده بأن يدافع عن عثمان رضى الله عنه .

فصاروا يضربون ويفرقون الثوار حتى صـــاح بهم الخليفة الله ... الله أنتم فى حل من نصرتى من كانت عليه طاعة فليمسك داره فانما يريدنى القوم .

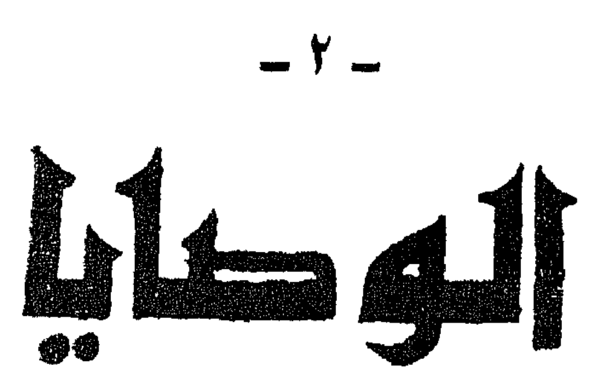
واذ رأى الحســن ينافح ويكافح ويشجع من وراءه ويشجع كذلك أهل بيته ناشـــده أن يكف .

وقال :

(ياابن اخى ان أباك الآن فى كرب عظيم فأقســـمت عليـــك لما خرجت) .

ولكن الحسـن لم يضعف رغم جراحه وثابر حتى أصيب هو وأخوه الحسين وقنبر خادم أبيه وما ازدادوا الا حماسا ومازال الناس فى هيجانهم يرمون عثمان بالسهام حتى اختضب الحسن بالدماء فخشى محمد بن أبى بكر أن يغضب بنو هاشـــم لحـاله فيثيرونها حربا شعواء فأخذ بيد أصحابه وقال أن جاء بنو هاشم جميعا ورأوا الدم على وجه الحسن كشفوا عن عثمان وبطـل ما نريد وكان الخليفة قد لزم الدار وأقسم على أهل المدينة مرارا ان

يرجعوا فرجعوا الا العباس والحسن ومحمد بن طلحه وعبد الله ابن الزبير وأشباهها لهم جعلوا الباب فى منعه يستعصى على الثائرين شق طريق فيها ولكن حدث رغم ذلك أن قتل عثمان رضى الله عنه بشكل بشع وبقى ثلاثة أيام لا يدفن وقصد ذووه عليا ليأخذ قضية الثوار على عاتقه **ويدفن سيدنا عثمان ففعل رغم رصد الناس للجنازة فى الطريق باكوام من الحجارة وخرج بالجنازة ناس قليلون منهم وفى مقدمتهم سيدنا الحسن والزبير وأبو جهم بن حذيفه ومروان .**


- ٢ -
الوصايا

من نصائح سـيدنا على لابنه سـيدنا الحسن :

يابنى احفظ عنى أربعـا وأربعا لا يضرك ما عملت معهن : ان أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق .

(يابنى اياك ومصـادقة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك أحوج ما تكون اليه واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه واياك ومصادقة الكذاب فانه كالشراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب) .

ومن الوصـايا التى كتبها سـيدنا على لابنه الحسـن هذه الوصية التى كتبها اليه بعد أن جاوز عمره الستين عاما يقول فيها :

من الوالد الفانى الى المولود المؤمل :

(أن ما تبينت من ادبار الدنيـا ما يزعنى عن ذكـر سـواى غير انى وجدتك بعضى بل وجدتك كلى حتى كأن شيئا لو اصابك أصابنى فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمر نفسى اوصيك بتقوى الله ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله وأى سبب أوثق من سبب بينك وبين الله ان أنت أخذت به ؟) .

أحى قلبك بالموعظة وقوة اليقين ونوره بالحكمة واعرض عليه أخبار الماضين وذكره بما أصـاب من كان قبلك من الأولين وسر فى ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انقلبوا وأين حلوا ونزلوا ولا تبع آخرتك بدنياك وأمر بالمعروف تكن من اهلـه وأنكر المنكر بيدك ولسانك وجاهد فى الله حق جهاده .

واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته .

يابني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم واحسن كما تحب ان يحسن اليك واستقبح ما تستقبحه من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك .

ان أمامك طريقا ذا مسـافة بعيدة ومشقة شديدة المخف فيها احسن حالا من المثقـل والبطيء عليها أقبح حالا من المسرع وان مهبطك بها لا محالة اما على جنة واما على نار) .

ومن وصاياه الأخيرة للحسن والحسين قال :

(أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وأن بغتكما ولا تأسـفا على شيء ذوى منها عنكما ... اعملا الحق وقولاه وارحما اليتيم واعينا الضعيف واصـنعا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم أنصارا واعملا لله ولا تخافا فيه لومة لائم) .

- ٣ -

خطب ورسائل

قال سيدنا الحســن هذه الخطبــة ــ وما أكثر خطب الامام الحسن عليه السلام ــ خطب الناس يوم مقتل أبيه ســيدنا على فقال :

(لقد قتلتم رجلا فى ليلة نزل فيها القرآن ورفع فيها عيسى وقتل فيها يوشع بن نون ! والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده والله ما ترك صــفراء ولا بيضــاء الا ثمانمائة أو سبعمائة درهم أرصدها لشراء خادم) .

وبعد دفن الامام على قام الحسن فخطب فى الناس قائلا :

(أيها النــاس من عرفنى فقــد عرفنى ومن لم يعــرفنى فأنا الحسن بن على وانا ابن النبى وانا ابن الوصى وأنا ابن البشير .. وأنا ابن النذير وأنا ابن الداعى الى الله بأذنه وأنا ابن السراج المنير وأنا من أهــل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مســلم فقال تبارك وتعالى لنبيه « قل لا أســألكم عليه أجــرا الا المــودة فى القربى ومن يقترف حســنة نزد له فيها حســنا » فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت) .

ومما قاله سيدنا الحسن لمعاوية فى كتاب أرسله اليه :

أما بعد فان الله جل جلاله بعث محمدا رحمــة للعالمين ومنة للمؤمنين وكافة للناس أجمعين لينذر من كان حيــا ويحق القول على الكافرين فبلغ رســالات الله وقام بأمر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا وان بعد أن أظهر الله به الحق ومحق به الشرك وقد خص به قريشا خاصة .

فقال له : وانه لذكر لك ولقومك فلما توفى تنازعت ســلطانه العرب فقالت قريش نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحق لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه فرأت العرب أن القول ما قالت قريش

وأن الحجـة فى ذلك لهم على من نازعهم أمر محمـد فأنعمت لهم وسلمت اليهم ثم حاججنا نحن قريشا بمثـل ما حاججت به العرب فلم تنصفنا قريش انصـاف العرب لها انهم أخذوا هـذا الأمر دون العرب بالانصـاف والاحتجاج فلما صرنا اهـل بيت محمد واوليائه الى محاجتهم وطلب النصـفة منهم بأعـدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا فالموعد الله وهو المولى النصير ولقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وان كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الاسلام وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب فى ذلك مغمزا يثلمونه به أو يكون لهم بذلك سبب الى ما أرادوا من افسـاده واليوم

فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهـله لا بفضل فى الدين معروف ولا أثر فى الاسلام محمـود وأنت ابن من حزب الأحزاب وابن اعدى قريش لرسول الله ولكتابه والله حسيبك فسترد وتعلم لمن عقبى الدار وبالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد وان عليا لما مضى لسبيله وتولى المسلمون الأمر بعده فاسـأل الله أن لا يؤتينا فى الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من كرامة وانما حملنى على الكتابة اليك الاعذار فيما بينى وبين الله عز وجل فى أمرك ولك فى ذلك ان فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين فدع التمادى فى الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى فانك تعلم أنى أحق بهذا منك عند الله وعند كل أواب حفيظ ومن له قلب منيب .

واتق الله ودع البغى واحقن دماء المسلمين فوالله ما لك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به وادخل فى السـلم والطاعة ولا تنازع الأمـر أهـله ومن هو أحق به منك ليطفىء الله النائرة بذلك ويجمع الكلمـة ويصـلح ذات البين وأن أنت ابيت

الا التمادى فى غيك سرت اليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

وقال سيدنا الحسن لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب حين أوفده فى شرطة للجيش الذى قد اعده قال له :

يا ابن العم انى باعث اليك اثنى عشر الفا من فرسان العرب وقراء مصر الرجل منهم يزيد الكتيبة فسر بهم وألن لهم جانبك فانهم بقية ثقات المؤمنين وسر بهم على شط الفرات واقطع الشط حتى تصير بمسكن ثم امض حتى تستقتل بهم معاوية فان أنت لقيته فاحبسه عن التقدم حتى آتيك فانى على أثرك وشيكا وليكن خبرك عندى كل يوم وشاور هذين (قيس بن سعد وسعيد ابن قيس) واذا لقليت معاوية فلا تقاتله فان فعل فقاتله وان أصبت فقيس بن سعد على الناس وان أصيب قيس فسعيد بن قيس على الناس .

وفى خطبة لسيدنا الحسن حينما تم الصلح بينه وبين معاوية حقنا لدماء المسلمين قال :

الحمد لله الذى توحد فى ملكه وتفرد فى ربوبيته يؤتى الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء والحمد لله الذى أكرم بنا مؤمنكم وأخرج من الشرك أولكم وحقن دماء آخركم فبلاؤنا عندكم قديما وحديثا احسن البلاء ان شكرتم أو كفرتم .

أيها الناس ان رب على كان أعلم بعلى حين قبضه اليه ولقد اختصه بفضل لم تقتدوا مثله ولم تجدوا مثل سابقته فهيهات هيهات طالما قلبتم له الامور حتى أعلاه الله عليكم وهو صاحبكم وعدوكم فى بدر واخواتها جرعكم رنقا وسقاكم علقا وأذل رقابكم واشرقكم بريقكم أفلستم بملومين على بغضه ؟ والله لا ترى أمة محمد خفضا ما كانت سادتهم وقادتهم بنى أمية وقد وجه الله اليكم فتنة ان تصدروا عنها حتى تهلكوا لطاعتكم طواغيتكم وانضوائكم الى

شياطينكم فعند الله أحتسب ما مضى وما ينتظر من سوء دعتكم وحيف حكمكم . . يا اهل الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامى الله صائب على أعداء الله نكال على فجار قريش ولم يزل آخذا بحناجرها جاثما على أنفاسها ليس بالملومة فى أمر الله ولا بالسروقة لمال الله ولا بالفروقة فى حرب أعداء الله !

أعطى الكتاب خواتمه وغرائمه دعاه فأجابه وقاده فاتبعه لا تأخذنا فى الله لومة لائم فصلوات الله عليه ورحمته .

أيها الناس أن أكيس الكيس التقى واحمق الحمق الفجور الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه وليس الخليفة من سار بالجور وذاك رجل ملك ملكا ثم تنخمه تنقطع الذمة وتبقى تبعته ولو اتبعتم بين جابلق وجابرص من جده نبى غيرى وغير أخى لم تجدوه .

ان الله خلصكم من الجهالة وأعزكم بعد الذلة وكثركم بعد القلة بنا وان لهذا الأمر مدة والدنيا دول والله تعالى قال لنبيه وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين .

اجتمع عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعقبة بن ابى سفيان والمغيرة بن شعبه مرة وقالوا لمعاوية :

ان الحسن قد احيا أباه وأحيا ذكره فقال فصدق وأمر فأطيع وخففت له النعال وأن ذلك لرافعه الى ما هو أعظم منه ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوء .

فقال لهم معاوية : وما تريدون ؟

فأجابوا : ابعث عليه فليحضر لنسبه ونسب اباه ونعيره ونوبخه ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره فلا يستطيع أن يغير علينا شيئا من ذلك .

فقال معاوية بعد تمنع منه والحاح منهم :

لا تفعلوا فوالله ما رأيته قط جالسا عندى الا خفت مقامه وعيبه لى ! ثم شددوا الطلب .

فقــال :

ان بعثت اليه لانصفنه منكم ولآمرنه ان يتكلم بلسانه كله وكروا فتوعدهم محذرا يقول : واعلموا انهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ولا يلصق بهم العار .

ثم أرسل يطلبه نزولا عند رغبتهم .

واذ جاء رسوله الحسن سأله عمن عند معاوية فأخبره عنهم

فقــال :

ما لهم خر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ؟ وقال :

يا جارية ابغينى ثيابى وأتم :

اللهم انى أعوذ بك من شرورهم وأدرأ بك فى نحورهم واستعين بك عليهم فاكفينهم كيف شئت وأنى شئت بحول منك وقوة .

ثم قام ودخل على معاوية فأعظمه وأجلسه الى جانبه مكرما فارتادوا وخطروا خطران الفحول بغيا فى نفوسهم وعلوا ثم قال معاوية :

يا أبا محمد ان هؤلاء بعثوا اليك وعصونى .

فقال الحسن :

سبحان الله . الدار دارك والاذن فيها اليك والله ان كنت اجبتهم الى ما أرادوا والى ما فى نفوسهم فانى لأستحى لك من الفحش وان كانوا غلبوك على رأيك فانى لاستحى لك من الضعف فأيهما تقر وأيهما تنكر ؟

أما انى لو علمت بمكانهم جئت معى بمثلهم من بنى عبد المطلب ومالى أن أكون مستوحشا منك أو منهم ؟

ان ولى الله وهو يتولى الصالحين فقال معاوية :

انى كرهت أن ادعوك ولكن هؤلاء حملونى على ذلك مع كراهيتى له وان لك منهم النصف ومنى وانما دعوناك لنقررك أن عثمان قتل مظلوما وأن أباك قتله فاستمع منهم ثم أجبهم ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك .

وتكلم عمرو بن العاص وتبعه حفيد أبى معيط فعقبة بن شعبه وذكروا معنى واحدا يدور حول قتل الخليفة الثالث واستعملوا شنائم مخجلة .

وقام الحسن ليتكلم فحمد الله وقال :

أما بعد يا معاوية فما هؤلاء شتمونى ولكن شتمتنى أنت فحشا ألفته وسوء راى عرفت به وخلقا سيئا ثبت عليه وبغيا علينا عداوة منك لمحمد وأهله .

ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا فلأقولن منك ومنهم ما هو دون ما فيكم .

انشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن الذى شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما وأنت بالصلاة يامعاوية كافر تراها ضلاله وتعبد اللات والعزى غواية ؟!

انشدكم الله هل تعلمون انه بايع البيعتين كليهما (بيعة الفتح وبيعة الرضوان) وانت يا معاوية باحداهما كافر وبالأخرى ناكث ؟

أنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس ايمانا وانك يا معاوية

من المؤلفة قلوبهم تسرون الكفر وتظهرون الايمـان وتسـتمالون بالأموال ؟؟

أنشدكم الله ألستم تعلمون أنه صاحب راية رسول الله يوم بدر وأن راية المشركين كانت معك ومع أبيك ! ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية محمد ومعك ومع أبيك راية الشرك ؟ !

وفى كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته وينصر دعوته ويصدع حديثه ورسول الله فى تلك المواطن كلها عنه راض وعليك وعلى أبيك ساخط ولأنشدك الله يا معاوية أتذكر يوما جاء فيه ابوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عقبة هـذا يقوده فرآكم رسـول الله

فقـال :

اللهم العن الراكب والقائد والسـائق ؟ !

أتنسى يا معاوية الشـعر الذى كتبته لأبيك لما هم أن يسـلم تنهاه عن ذلك قائلا :

يا صخر لا تسـلمن يوما فتفضحنا
بعـد الذين ببدر اصـبحوا مزقا

خـالى وعمى وعم الأم ثالثهـم
وحنظـل الخير قد أهدى لنـا الأرقا

لا تركنن الى أمـر اتكلفنـا
والراقصـات اليه فى مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة : لقد

حاد ابن حرب عن العزى اذا فرقا ؟

والله !ا أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت وانشدكم الله ايها الرهط أتعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله فأنزل فيه :

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله » .

وأن رسول الله بعث أكابر الصحابة الى بنى قريظه فنزلوا من حصنهم فهزموا فبعث عليا بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله وفعل فى خيبر مثلها ؟

ثم قال :

يا معاوية أظنك لا تعلم أنى أعلم ما دعا به عليك رسول الله لما أراد أن يكتب كتابا الى بنى خزيمة فبعث اليك ونهمك الى أن تموت .

أيها الرهط :

نشدتكم الله ألا تعلمون أن رسول الله قد لعن أبا سفيان فى سبعة مواطن لا تستطيعون ردها ؟ (لعنه يوم خرج الى الطائف ليدعو ثقيفا فلقيه فى الطريق ، ويوم العير الذى جر الى وقعة بدر ويوم أحد كان ينادى أعل هبل أعل هبل ! ويوم الاحزاب ويوم الحديبية ويوم الجمل الأحمر ويوم وقفوا لرسول الله فى العقبة ليستفزوا ناقته) !

فهذا لك يامعاوية ثم كال لهم جميعا بمثل ما كالوا وقام فنفض ثوبه لينصرف .

فتعلق عمرو بن العاص به وقال :

يا أمير المؤمنين قد شـــهدت قوله فى وقذفه أمى بالزنى **وأنا مطالب له بحـد القـذف .**

فقـال معـاوية :

خل عنه لا جزاك الله خيرا .

فتركه وانصرف .

فالتفت اليهم معاوية وقال :

قد أنبأتكم انه ممن لا تطاق عارضـته ونهيتكم أن تسـبوه فعصيتموني والله ما قام حتى أظلم على البيت ؟ ! قوموا عنى فقد فضحكم الله واخزاكم بترككم الحزم وعدولكم عن رأى الناصـح المشـفق .

وأما عمرو بن العاص فقد لقى الحسن بعدها فى الطواف حول البيت فقـال له :

زعمت أن الدين لا يقوم الا بك وبأبيك فقد رأيت أن الله أقامه بمعاوية فجعله راسـيا بعد ميله وبينا بعد خفائه أفرض الله بقتل عثمان ؟ والله انه لألم للشعث وأسـهل للوعث أن يوردك معـاوية حياض أبيك .

وأجاب الحسن باطمئنان :

ان لأهل النار لعـلامات يعرفون بها الحادا لأولياء الله وموالاة لأعداء الله ، والله أنك لتعلم ان عليا لم يرتب فى الدين ولم يشـك فى الله سـاعة ولا طرفة عين قط فاياك والتهجم على فانى من قد عرفت لست بضعيف الغمزة ولا هش المشاشـة ولا مرىء المأكلة وانى من قريش كواسـطة القلادة يعرف نسـبى **ولا أدعى لغير أبى وأنت من نعلم ويعلم الناس تحاكمت فيك رجال قريش فغلب عليك جزارها الأمها وأعظمها لؤما فاياك عنى فانك رجس .**

- ٤ -

كلمات

من أقوال سيدنا الحسن رضى الله عنه :

رأيت أمى فاطمة قامت فى محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى انفتح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشىء .

فقلت لها :

يا أماه ألا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟

فقالت :

يا بنى الجار ثم الدار .

وقيل للحسن يوما : من شر الناس ؟ فقال :

من يرى انه خيرهم !

وقال الحسن أيضا :

من نافسك فى دينك فنافسه . ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره .

وقال الحسن أيضا :

صحبت أقواما الرجل منهم تعرض له الكلمة من الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه ولا يمنعه منها الا الشهرة وخوف السلطان .

سأل رجل الحسن يوما وقد رآه يطالع صحيفة .. ما هذه ؟

فقـال :

هو كتاب من معـاوية يتوعد فيه على أمر .

فقال الرجل : لقد كنت على النصف منه فما فعلت ؟

فأجابه الحسن متأسفا :

أجل ولكنى خشيت أن يأتى يوم القيامة ثمانون ألفا تشخب أوداجهم دما كلهم يستعدى الله فيم أهريق هريق دمه !!!

وقال الحسـن رضى الله عنه :

يشغل المرء حين يولد مكانا من الأرض طوله ثلاثة أقدام ويشغل حين يموت حيزا طوله سـت أقدام ؟

أفلا يكون مجنونا اذا كافح وجاهد فى سـبيل الباطل وفى سبيل ثلاثة أقدام ؟ !!

وقال الحسن يوما لمعاوية وقد طلب منه أن يقف معه :

لو آثرت أن أقاتل احدا من أهـل القبلة لبدأت بقتالك وانى تركتك لصلاح الأمة وحقن دمائها .

قال سـفيان بن أبى ليلى النهدى للحسن يوما وقد رآه بعد الصلح بفناء داره :

السـلام عليك ياعار المؤمنين .

فأجابه الحسن بارتياح :

وعليك السلام يا سفيان ... العار أفضـل من النار ... لم جرى هذا منـك ؟

فقـــال :

بأبى أنت وأمى أذللت رقابنا حيث اعطيت هذا الطاغية البيعة ومعـــك مائة ألف كلهم يموتون دونك ؟ ! وقد جمع الله عليك أمر الناس !

فأردف الحســن :

يا سفيان أنا أهل بيت اذا رأينا الحق تمسكنا به وان رســول الله قال : لا تذهب الليالى والأيام حين يجتمع أمر هــذه الأمة على رجل واسع السرة ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع ولا ينظر الله اليه ولا يموت حتى لا يكون له فى السماء عاذر ولا فى الأرض ناصر وانه لمعاوية وانى عرفت أن الله بالغ أمره .

وخرجا يتمشيان فى المســجد فقال الحسن :

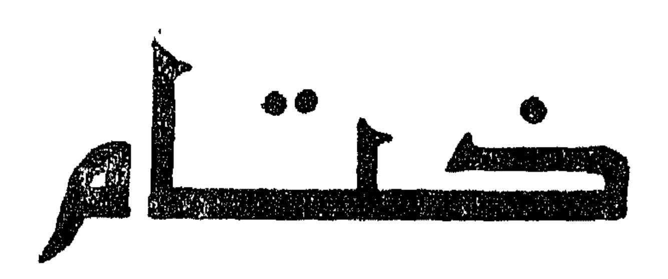
ما جاء بك يا ســـفيان ؟

فأجاب : حبكم والذى بعث محمدا بالحق ودين الهدى .

فطمأنه الحسن : أبشر يا سفيان فان الدنيا تسع البر والفاجر .

وقال الحســـن يوما لمسيب بن نجيه يطلب منه أن يرجع عن صلح معــاوية فقال :

يا مسيب انى لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر منى عند اللقاء ولا أثبت عند الحرب ولكنى أردت صــلاحكم وكف بعضكم عن بعض فارضوا بقدر الله وقضائه .


ختام

ولا أجد خيرا مما قاله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وســـلم عن الحسن رضى الله عنه لأختم به هــذا الكتيب .

قال عليه الصلاة والسلام :

(ابنى هذا سيد ويصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) .

وقال عن سيدنا الحسن والحسين :

(لكل بنى آدم عصبة ينتمون اليهم الا ابنى فاطمة فانا وليهما وعصبتهما) .

وقال أيضا صلى الله عليه وســلم :

(أما الحسن فانه ابنى وولدى ومنى وقرة عينى وضياء قلبى وثمرة فؤادى وهو سيد شباب أهل الجنة وحجة الله على الأمة أمره أمرى وقوله قولى فمن تبعه فانه منى ومن عصاه فليس منى ! وانى لما نظرت اليه تذكرت ما يجرى عليه من الذل بعدى فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسم ظلما وعدوانا ! فعند ذلك تبكى الملائكة والسبع الشداد لموته ويبكيه كل شىء حتى الطير فى كبد السماء والحيتان فى جوف الماء فمن بكاه لم تعتم عينه يوم تعمى العيون ومن حزن عليــه لم يحزن قلبــه يوم

تحزن القلوب ومن زاره فى بقيعـه ثبت الله قدمه على الصراط يوم تزل فيـه الأقدام ثم يرفعـه على عاتقـه ويقول : فاطمة سـيدة نسـاء أهل الجنة والحسن

الحسن والحسين .. من أحبنى واحبهما واباهما اهل الجنـة) .

وسأل أحد الجلسـاء يوما سـيدنا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم :

أى أهلك أحب اليك ؟

فأجابه :

الحسن والحسين .. من أحبنى واحبهما واباهما وامهما كان معى فى الجنة .

وقال مرة أخرى لأحدهم :

أدع ابنى فأتى له بسيدنا الحسن وهو يشتد حتى وقع فى حجره فاحتضنه شغفا وفتح فمه فأدخل فمه فيه وقال :

اللهم أنى احبـه فاحبـه وأحب من يحبه وليبلغ الشاهد الغائب .

وذات يوم كان النبى صلى الله عليه وسلم يسابق بين الحسن والحسين فسبق الحسن أخاه وعاد مسرعا حتى ارتمى فى حجره فأخذه وقبله بحنان وأجلسه على ركبته اليمنى .

وفعل ذلك مع اخيه واجلســه على ركبته اليسرى وســئل حينئذ :

يارسول الله ايهما احب اليك ؟

فأجاب : أقول كما قال أبونا ابراهيم وقد قيل له أى ابنيك أحب اليك ؟ فقــال : اكبرهما وهو يلد ابنى محمدا ....

صلى الله عليه وعلى آله وســلم

فهرس

رقم الايداع بدار الكتب ١٨٦٠/١٩٩١

الترقيم الدولى I.S.B. 977 — 00 — 1140 — 1

□□ يتناول هذا الكتاب - بإيجاز شديد وحسن اختيار - جوانب جديدة فى فكر وثقافة الامام الحسن رضى الله عنه والتى تكشف عن تكامل وتفرد هذه الشخصية بأدب الحوار والارتفاع بمسئولية المناقشة وعمق الهدف الذى أعطاه حياته وفكره وجهاده .

□□ وتشرف ((دار الشعب)) أن تقدم لقرائها من الشباب المسلم هذه الرسائل والخطب والأقوال والمواقف التى جسدت فكر وثقافة الامام الحسن رضى الله عنه . لتكون القدوة الحسنة والنموذج المشرف الذى يجب أن يحتذى .

(دار الشعب)

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الثمن
٨٥ قرشا